الترجمة الأدبية

م . د / أحمد حسين جوده الشرَيفي.

كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

الايميل الجامعي: bas150.ahmed.hussien@uobabylon.edu.iq

الترجمة الأدبية

الملخص:

تعد الدراسات الأدبية المقارنة من أهم الدراسات التي حظيت بإهتمام بالغ من الكتاب واللغويين والأدباء؛ لأنها تعتبر دوما رسولا للعالمية بتجاوزها الحدود، وجسر للتبادلات الثقافية والفكرية بين الحضارات واللغات، ومعبر ذهبياً للتواصل بين الشعوب، فاصبحت من أهم العلوم الأدبية والثقافية المعاصرة.

اعتبرت الدراسة فن الترجمة هو أداة المقارنة في كيفية نقل "نص المصدر"، لتطوير ثقافة "نص الهدف"، في تناول أدبين، فهي فن تحويل النصوص الأدبية من لغة إلى أخرى مع الحفاظ على روحها وجمالها، حيث يتطلب المترجم مهارات عالية في نقل المعاني والمشاعر بدقة وابتكار. هذه العملية تعزز فهم الثقافات المختلفة وتتيح للقراء استكشاف أفكار ومعتقدات الشعوب الأخرى. تتسم الترجمة الأدبية بالتحديات مثل الحفاظ على الأسلوب الأدبي المعقد وفهم السياقات الثقافية والتاريخية، مما يجعلها أكثر من مجرد نقل كلمات، بل عملية إبداعية تنقل روح النص إلى جمهور جديد.

مفهوم الترجمة الأدبية: Literary translation concept

الترجمة الأدبية: فن لتحويل النصوص الأدبية من لغة إلى أخرى مع الحفاظ على روحها وجمالها، مما يتطلب من المترجم مهارات عالية في النقل للمعاني والمشاعر بدقة الاختيار والابتكار. وهذه العملية تعزز فهم الثقافات المختلفة، وتوفر للقارئ اكتشاف أفكار ومعتقدات الشعوب الأخرى. فالترجمة الأدبية تتسم بالتحديات مثل الحفاظ على الأسلوب الأدبي المعقد والفهم للسياقات الثقافية والتاريخية، وهذا ما يجعل العملية ليس مجرد نقل كلمات، بل هي من العمليات الإبداعية التي تنقل روح النص إلى جمهور آخر مختلف.

لا يقتصر عمل المترجم الأدبي على نقل دلالة الألفاظ أو ما يُعرف بالإحالة، أي إحالة القارئ أو السامع إلى الشيء ذاته الذي يشير إليه المؤلف في النص الأصلي؛ بل يتجاوز ذلك إلى نقل المغزى والأثر الشعوري الذي يحدثه النص في نفس المتلقي. فالأدب لا يقوم فقط على الدلالة المباشرة للكلمات، وإنما يعتمد أيضاً على الإيحاءات والأساليب الفنية والطبقات العاطفية التي يريد الكاتب إيصالها.

ومن ثمّ، فإن المترجم الأدبي يحتاج إلى ما هو أكثر من المعرفة اللغوية والتقنية والنقدية؛ فهو مطالب كذلك بامتلاك حسٍّ إنسانيٍّ رفيع، وفهمٍ عميقٍ للثقافة والفكر والسياق الحضاري للنص. وهنا يظهر الفرق الجوهري بين المترجم العلمي الذي يركز على الدقة ونقل المعلومات، والمترجم الأدبي الذي يسعى إلى إعادة خلق التجربة الفنية بكل ما تحمله من أبعاد شعورية وجمالية.

ولهذا يميز علماء الدلالة بين المعنى والدلالة؛ فالدلالة في رأيهم يمكن الوصول إليها عبر الإحالة المباشرة، أما المعنى الحقيقي للنص فيتطلب عناصر إضافية تتصل بالبعد الإنساني والانفعالي، وهو ما يجعل الترجمة الأدبية عملاً إبداعياً لا يقل أهمية عن الكتابة نفسها.

تعريف: الترجمة الأدبية: Definition: Literary translation

الترجمة الأدبية هي عملية نقل الأعمال الأدبية بأجناسها وفروعها المتعددة كالشعر، والنثر، والقصة، والمسرحية، وسائر الأنواع الأدبية—من لغة إلى أخرى. وهي تشترك مع الترجمة بوجه عام في كونها عملية تحويل لبنى لغوية من منظومة رمزية مكتوبة أو منطوقة إلى منظومة رمزية أخرى، غير أنّ خصوصيتها تكمن في طبيعة المعنى المراد نقله، إذ قد يكون هذا المعنى إحالياً محضاً (sens référentiel)يتمثل في الإشارات والمعلومات والانفعالات المباشرة، وقد يكون معنىً أدبياً مركباً يشتمل على عناصر بلاغية وبنائية وإيقاعية تتطلب وعياً عميقاً بخصائص النصين: الأصلي والمُناظر له.

وتستلزم الترجمة الأدبية إجراء مقارنات على جميع المستويات بين اللغات، ولا سيما في مجالي علم التراكيب (la syntaxe) والتداولية(la pragmatique) ، لما لهما من دور محوري في إنتاج المعنى الأدبي وفهمه. أما المقصود بـ الشفرة الأدبية فهو مجموع القواعد والأساليب والخصائص الفنية الراسخة في تراث أدبي معين، أي الإطار الجمالي والمعياري الذي تُنتج فيه النصوص وتتلقاها الجماعة اللغوية.

وبناءً على ذلك، يحتاج المترجم الذي يسعى إلى نقل المعنى الإحالي أو المعنى الأدبي المركّب إلى استيعاب هذه الشفرة والقدرة على إعادة توظيفها في اللغة الهدف، بما يضمن الحفاظ على روح النص وخصوصيته الفنية [1] فقط سينصب اهتمامه طبيعيا بقواعد الإحالة وهذا ما تم الاصطلاح على تسميته بالترجمة التوصيلية (la traduction communicative) وأوضح مثال على هذا هو ترجمة الأخبار ووسائل الإعلام. [2]

اختلفتّ الآراء حول الترجمة الأدبية، فذهب بعض المؤلفين إلى رأيين:

الاول : المعيار الأول ينطلق من فكرة أن الترجمة الأدبية تشمل كل ما يُكتب بأسلوب أدبي ويحمل طابعاً أدبياً مهما كانت طبيعته أو مجاله. ووفق هذا المنظور، تُدرج ضمن الترجمة الأدبية ترجمات المؤلفات التاريخية مثل تاريخ الطبري وكذلك ترجمات الأعمال في مختلف العلوم الإنسانية الأخرى، كالفلسفة والتصوف والجغرافيا. وبهذا المفهوم الواسع، تصبح ترجمات مؤلفات مثل الجمهورية لأفلاطون، والعصر الذهبي لجيمس فريزر، وقصة الحضارة لول ديورانت، جميعها داخلة تحت مظلة الترجمة الأدبية، بوصفها نصوصاً ذات أسلوب أدبي أو تحمل سمات الخطاب الأدبي في بنائها أو لغتها [3].

الثاني: يرى آخرون أن الترجمة الأدبية هي ترجمة الأدب بفروعه المختلفة أو ما يطلق على الأنواع الأدبية المختلفة literary genres مثل الشعر والقصة والمسرح وما اليها.

وواضح أن الفرقة الأولى، وهي الأقل، تنظر إلى الشكل في النص المترجم أو بعبارة أدق إلى الأسلوب وهي بذلك توسع من دائرة الترجمة الأدبية لتضم إلى الأدب العلوم الأخرى المختلفة.

أما الفرقة الثانية؛ وهي الأكثر فهي تبنى تعريفها على أساس موضوع النصوص، ومن ثم تقصر الترجمة الأدبية على ما يتصل بالأدب بمعناه الخاص أي الشعر والنثر الجميلين والمؤثرين فحسب.

أما نحن فنرجح ونأخذ بالرأي الثاني لما يتعلق بموضوع بحثنا أي علاقة الترجمة بالأدب المقارن؛ ونرى أن الترجمة الأدبية هي ترجمة الأدب أي الأعمال الأدبية الإبداعية من قصائد شعرية غنائية ومسرحيات شعرية وملاحم وروايات وقصص قصيرة وحكايات خرافية وقصص على ألسنة الحيوانات ومقامات

---

[1] - الإحالةَ وكما يُعرفُ في اللغة الإنجليزية بـ(Reference) اعلاقةٌ دلالية لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه؛ وربّما تُرجم هذا المصطلح بـ(الإشارةِ)، ولا ضيرَ في ذلك من النّاحية اللُّغوية المحضة.

[2] - محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1979، ص7-8.

[3] - أحمد عصام الدين، حركة الترجمة في مصر في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م، ص100.

ورسائل ومقالات أدبية وحكم وأمثال وخطب وما إلى ذلك من أعمال فنية تندرج تحت الأدب بمفهومه الخاص بالإنتاج الشعري والنثري الذي يتسم بسمتين أساسيتين وهما الجمال والتأثير[4].

والترجمة الأدبية ليست مجرد نشاط لغوي، يجتهد فيه المترجمون واللغويون، ولكنها تعتبر عملاً أدبيا يحتل مكانته الخاصة بين الأجناس الأدبية المختلفة، وهي عمل يقترب من الإبداع الأدبي للكتّاب والشعراء [5].

يرى الزيات أن عمل المترجم الأدبي يقوم على جهدين أساسيين. يتمثل الأول في تطويع اللغة وجعلها قابلة لاستيعاب المعاني الأجنبية دون أن يبدو في النص ما يخلّ بانسجامها أو يُحدث نشازاً في تراكيبها. أما الجهد الثاني فيكمن في الانغماس في شخصية المؤلف الذي يترجم عنه، بحيث يشعر المترجم بما يشعر به الكاتب، ويرى بعينه، وينطق بلسانه، ليقدم نصاً يعكس تجربة المؤلف وروحه بأكبر قدر ممكن من الأمانة الفنية[6].

فالجهد الأول لغوي خالص، والثاني فني صرف، وهو تقمص شخصية المؤلف "فيشعر بقلبه، وينظر بعينه، وينطق بلسانه".

وهذا تعبير مسرحي دقيق، وكأن المترجم ممثل يؤدي دور المؤلف ويعبّر عن شخصية الكاتب، وروحه ومشاعره، والثاني نقل أسلوبه، وطريقته، ومذهبه الفني في التأليف والكتابة.

ومجمل القول إن الترجمة الأدبية إبداع جديد في اللغة المنقول إليها كما أن النص الأصلي إبداع في لغته الأصلية، إلا أن الترجمة إبداع يستند إلى النص الأصلي المنقول عنه، وتنطلق منه، فهي إبداع مقيّد مسبوق، في حين أن النص الأصلي إبداع حر غير مسبوق.

تأثير الأدب في الترجمة: The influence of literature on translation

تأثر الأدب في الترجمة تأثيرا كبيرا وساعد على تطورها، وسنشير هنا إلى خمس مجالات لهذا التأثير وهي نقل الأدباء الأعمال الأدبية الأجنبية إلى اللغة العربية، ونقد ومراجعة الترجمات الأدبية، ووضع المصطلحات وتأليف المعاجم اللغوية، ووضع نظرية الترجمة، وصياغة طرق الترجمة ومناهجها.

أما بالنسبة للجانب الأول فترجع نشأة الترجمة وتطويرها في العالم العربي، إلى جهود أحد الأدباء الرواد ومنهم رفاعة رافع الطهطاوي)1873-1801م (الذي كان وراء فكرة تأسيس "مدرسة الألسن" التي أنشئت بالفعل في سنة 1835م، وترجم بنفسه وأشرف على ترجمة نحو ألفي كتاب في نحو أربعين سنة، وأدى ذلك إلى نشأة النهضة الفكرية عند العرب في العصر الحديث [7].

---

[4] - عارف كرخي أبوخضيري، الأدب والترجمة، المقدمة، ص2.
[5] - "إشكالية ترجمة الشعريين اللغتين العربية والألمانية" رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، 2018م، ص91-92.
[6] - محمد ديداوي، علم الترجمة - بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992م، ص168.
[7] - محمد ديداوي، علم الترجمة، ص.16

ومن أوائل الأدباء الذين شاركوا بجهودهم في نقل الآداب والثقافات الأجنبية في تلك الفترة الطهطاوي نفسه والشاعر محمد عثمان جلال. أما في القرن العشرين والحادي والعشرين، فقد كثر عدد الأدباء الذين شاركوا بجهد كبير في الترجمة ومنهم أحمد حسن الزيات وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني ومصطفى لطفي المنفلوطي وإبراهيم ناجي وإدوار الخراط وغيرهم.

وقد عنى هؤلاء الأدباء بنقل روائع الأدب العالمي ومن بينها الإلياذة ورباعيات الخيام والكوميديا الإلهية والبيت والعالم ومدام بوفاري وبيجماليون وعوليس وغيرها، وقد وجدوا في ترجمة الأعمال الأدبية ونقلها للغة العربية نشاطاً مكملاً لإبداعاتهم الأدبية، ومنبعا ثرا يستمدون منه إلهامهم، وواجبا قومياً نحو غيرهم من الأدباء والقراء الذين لا يتمكون من الإطلاع على روائع الأدب العالمية بلغاتها الأصلية.

وأما بالنسبة للجانب الثاني، فقد عنى الأدباء بكتابة مراجعات ودراسات يحللون فيها أعمال المترجمين؛ وينقدون ترجماتهم بشكل مكثف ومنظّم؛ وقد شملت كتاباتهم هذه الترجمات الأدبية والعلمية، وإن كان معظم مراجعاتهم وجهت إلى ترجمات الدواوين الشعرية والمسرحيات والروايات والقصص القصيرة وترجمة السير والأعمال التاريخية والفلسفة. وقد بدأت هذه الكتابات منذ مطلع القرن التاسع عشر في أعمال أمين الريحاني ومحمد لطفي جمعة وميخائيل نعيمة.

وقد أدت هذه المراجعات والتحليلات النقدية إلى ظهور لون من العلاقات المتبادلة النشطة بين النقاد والمترجمين؛ إذ تابع النقاد أعمال المترجمين، وقدموا كثيراً من النصائح والإرشادات القيّمة لهم. كذلك تابع المترجمون كتابات النقاد لأعمال المترجمين وظهر أثر ذلك في فن الترجمة؛ إذ تبع نشأة وتطور الترجمة في عصر النهضة العربية الحديثة نشوء علاقة وثيقة بين حركة الترجمة والنقد الأدبي. كذلك يلاحظ أنه كان لكل منهما تأثير ضخم على الآخر. ومن ذلك أن الترجمة ساعدت على صياغة مصطلحات نقدية جديدة، هذا فضلا عن مساعدتها على نشأة وتطوير عدد من النظريات والأساليب النظرية. وبالمثل أثّر النقد على حركة الترجمة وتطور

مسيرتها.

وأما بالنسبة للجانب الثالث، فقد أسهم الطهطاوي والعقاد ومحمد عناني وسليمان مظهر وغيرهم في إدخال مصطلحات ومفاهيم أجنبية جديدة إلى لغتنا العربية، وقاموا بتأليف قواميس لغوية جديدة.

وأما بالنسبة للجانب الرابع، فقد أسهم رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد وطه حسين ومحمد زكي خورشيد وغيرهم في جوانب عديدة من نظرية الترجمة ومن بينها المقارنة بين الترجمة والإبداع ومسئولية المترجم ونقل الألفاظ والتعابير اللغوية الأجنبية إلى اللغة العربية والموازنة بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية، وقد صدرت ملاحظاتهم عن ممارستهم الفعلية للترجمة ومكابدتهم لها.

وأما الجانب الخامس والأخير، فقد نجح الأدباء في تبني طرائق عديدة في الترجمة، كطريقة محمد عثمان جلال في إعادة إنتاج النصوص الفرنسية بالعامية المصرية، وفي تلخيص النصوص اليونانية على يد (دريني خشبة)، وتعريب الروايات الفرنسية على يد المنفلوطي.

ولعل أبرز طريقتين في الترجمة العربية الحديثة هما طريقتا أحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام. أما الزيات فقد وضع طريقة متميّزة لنقل النصوص الأدبية الفرنسية إلى اللغة العربية، وتتمثل هذه الطريقة في ثلاث خطوات. في الخطوة الأول ينقل القصيدة حسب نظام اللغة المصدر من حيثٍ التراكيب والأبنية ونظام الجملة. وفي الخطوة الثانية يعيد صياغة النص المترجم حسب نظام اللغة الهدف.

وفي الخطوة الثالثة يعمد المترجم إلى إفراغ روح الشاعر في القصيدة المترجمة. وهذه طريقة جيّدة ولكنها صعبة ومجهدة، لأنها تستغرق وقتاً طويلاً، كما انها تحاول أن تؤدي حق المؤلف الأصلي في الخطوة الأولى، ثم حق القارئ في الخطوة الثانية.

تُعدّ الخطوة الثالثة في عملية الترجمة الشعرية من أصعب المراحل وأعقدها على الإطلاق؛ ففيها يجتهد المترجم ليبعث روح الشاعر في النص المترجَم، وهي الخطوة التي يُقاس بها نجاح الترجمة وقيمتها الفنية ومكانتها الأدبية. فالنقل الحرفي أو الدلالي وحده لا يكفي، إذ يبقى التحدي الأكبر في استعادة الجو الشعري والأثر الوجداني الذي أراده الشاعر في الأصل.

أما منهج عبد الوهاب عزام فقد طبّقه على الشعر الإسلامي بصورة خاصة، وسعى فيه لا إلى نقل روح الشاعر فحسب فعل الزيات بل حاول كذلك الحفاظ على الأوزان والقوافي قدر الإمكان، مع التزامه بالمعاني الأصلية والصور الفنية التي تميّز النص. وقد بذل جهداً خاصاً ليبقى قريباً من الوزن الشعري وأسلوب التقفية، ما جعله أحياناً مضطراً إلى اتباع العروض الفارسي في بعض القصائد المترجمة ضمن كتابه *"أيام مشرق* "فمثلاً، نظم بعض القصائد على بحر الرمل بصورته الفارسية ذات التفعيلات الثمانيّة، بدلاً من الالتزام بالصيغة العربية ذات الست تفعيلات، وذلك حفاظاً على الموسيقى الشعرية ومتطلبات الإيقاع في النص المصدر [8].

وثمة طرق أخرى عديدة انتهجها الأدباء العرب المحدثون في ترجماتهم، كطريقة المازني في ترجمة رباعيات الخيام، وطريقة أحمد رامي في ترجمتها، وطريقة زاخر غبريال في ترجمة الشعر الإنجليزي، وطريقة محمد عناني في ترجمة مسرحيات شكسبير، وطريقة كاتب هذه السطور في ترجمة دواوين الشعر الإنجليزية والفارسية والملايوية والكورية إلى اللغة العربية.

[8] - محمد عبد الغني حسن، فن الترجمة، ص101 ومابعدها.

يُعدّ فن الترجمة ممارسة تقوم على الإبداع والذائقة اللغوية والقدرة على مدّ الجسور بين الثقافات، إذ تُسهم في تقريب الشعوب من بعضها وتمكّن الإنسانية جمعاء من التواصل وتبادل الخبرات والمعارف على نحو يثري الوعي البشري ويعمّق الفهم المشترك.

الأثر والمعنى في الترجمة: Impact and meaning in translation

يُقصد بـ الأثر ذلك الناتج المعرفي والانفعالي الذي تولّده عملية الفهم لدى المتلقي؛ مثل الانفعال، أو الضحك، أو البكاء، أو الإقناع، وغيرها من الاستجابات. ويُعدّ قياس هذا الأثر أمراً بالغ الصعوبة، لأنه قد يختلف اختلافاً كبيراً من متلقٍ إلى آخر تبعاً لخصائص فردية متعلقة بالأيديولوجيا، والخبرة الشخصية، وطبيعة العلاقة بين المتلقي والمتحدث، وغير ذلك من العوامل الذاتية.أما العلاقة بين الأثر والمعنى، فهي علاقة وثيقة؛ إذ إن تغيّر المعنى يؤدي بالضرورة إلى تغيّر الأثر. ومن هنا تتجلى أهمية مفهوم الأثر في نظرية الترجمة، وفي تحليل مدى الأمانة في النقل من لغة إلى أخرى.

وبناءً على ذلك، يتوجب على المترجم أن يضع نصب عينيه الأثر الذي يحدثه النص الأصلي في متلقيه، وأن يعمل على إعادة إنتاج الأثر ذاته في نص الترجمة، حفاظاً على القيمة التواصلية والجمالية للنص المصدر. (9)

تأثير الترجمة في الأدب: The impact of translation on literature

أما تأثير الترجمة في الأدب فهي، فيما نرى، أوسع وأعمق من أثر الأدب في الترجمة؛ إذ يمتد هذا الأثر لا إلى العمل الأدبي وحده، بل يمتد أيضا إلى صاحبه، وفي الإبداع الأدبي، وفي اللغة المترجم إليها وآدابها وثقافتها. بيد أننا لضيق المكان سوف نركز حديثنا على جوانب ثلاثة وهي: الترجمات الأدبية أعمال إبداعية، والآداب ترجمات في الأصل، ودور الترجمة في ذيوع الأعمال الأدبية.

الترجمات الأدبية أعمال إبداعية:

لعل أول ما يلاحظ على بحوث بعض الباحثين والمؤلفين المحدثين في مجال الترجمة هو تفرقتهم الصارمة والمجحفة بين الأدب والترجمة؛ حيث يرون في الأول علماً فناً خالصاً وابداع وابتكار وأصالة، ويضعونه لذلك في منزلة عالية رفيعة، بينما يرون في الترجمة عملاً حرفياً آلياً لا إبداع فيه ولا ابتكار ولا أصالة، ومن ثم يضعونها في منزلةً أدنى من منزلة الأدب الخالص أو التأليف الصرف.

فصلة الترجمة بالأدب عندهم تتبع ثنائية الجوهر؛ المظهر التي تجعل العلاقة بين الأصل والترجمة علاقة تراتب يصبح معها الأصل قابضا وحده على الحقيقة والمعنى، بينما تصبح صورة الحقيقة وظل المعنى من نصيب الترجمة.

---

9 - Albir, Amparo Hurtado, La notion de fidélité en traduction, pp .124.

يؤدي هذا التراتب إلى حصر وعينا بالترجمة في علاقتها بالأصل في ثنائية أخرى هي ثنائية التابع والمتبوع التي تجعل نجاح الترجمة أو إخفاقها مشروطا بمدى ما تحققه من اقتراب أو ابتعاد عن الأصل، وهو ما يحصر بدوره مهمة دارس الترجمة في مجرد اقتفاء الخط الواصل بين النص الأصل ونص الترجمة، وتعيين المواضع التي يجيد فيها نص الترجمة عن النص المترجم"[10].

ولكن الترجمة ليست من قبيل عمل المصور أو الرسام الذي يعمد إلى لوحة من اللوحات لكبار الفنانين أو مشاهيرهم، ويجهد فيه إلى إخراج نسخة لها طبق الأصل، تتفق معها في الزوايا والتفاصيل والخطوط، وتحاكيها في الألوان والأضواء والظلال إلخ. فعمل المترجم يختلف عن هذا وذاك تمام الاختلاف؛ يعمل المترجم الأدبي على نقل عملٍ إبداعي من لغة إلى أخرى تختلف عنها في مفرداتها وتراكيبها وتعبيراتها، فضلاً عن اختلافها في سياقاتها الثقافية وتراثها الأدبي. ولا يقتصر دوره على النقل اللغوي فحسب، بل يضفي على الترجمة شيئاً من روحه وذائقته وأسلوبه، ويُجسِّد فيها فهمه للنص الأصلي وتأويله الخاص لمضمونه. ولهذا فإن الترجمة الأدبية أقرب إلى المحاكاة الإبداعية منها إلى النقل الحرفي أو النسخ الآلي المباشر.

ورأيي انا كباحث وبالرغم من كل الآراء المؤلفين والباحثين الأدباء التي ذكرتها وسأذكرها لأعطي حق الترجمة في البحث ورغم هذا كله بما أن الترجمة كجزء وعنصر من عناصر الأدب المقارن، فهي فن يتبع المترجم ومدى خبرته، ونجاح الترجمة أو إخفاقها مشروطا بمدى ما تحققه من اقتراب أو ابتعاد عن الأصل، أي حسب خبرة المترجم واتقانه للغة المترجم منها.

الإبداع في الترجمة: creativity in translation

فالمترجم كاتبٌ بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ إذ إن عمله يقوم على صياغة الأفكار في كلمات موجّهة إلى القارئ. غير أن الفارق الجوهري بينه وبين الكاتب الأصلي هو أن الأفكار التي يصوغها ليست من إنتاجه هو، بل هي أفكار غيره يقوم بنقلها وإعادة تشكيلها.[11]

ولا تخلو الترجمة من الإبداع، بل هي في جوهرها إبداع، إلا أن الإبداع فيها إبداع مسبوق بإبداع آخر، ومنبثق منه، ومرتبط به، وهو العمل الأدبي الذي اختاره المترجم، وعمد إلى نقله إلى لغته.

[10] - سامح فكري، "ترجمة مآسي شكسبير الكبار في مصر: مقال في المنهج"، ص382-383.
[11] - محمد عناني، فن الترجمة، ص6.

تقول فاطمة ناعوت: (الترجمة سيما الأدبية وبالتحديد ترجمة الشعر من الإبداع والفكر وليست نقلاً ميكانيكيا حرفيا سهلاً كما تفعل برامج الترجمة الإلكترونية) [12].

ومما يدل على الجانب الإبداعي في الترجمة أن ترجمات الأعمال الأدبية الكبرى تختلف من مترجم إلى مترجم كما ترى في ترجمات مسرحيات شكسبير وأشعار طاغور ورباعيات الخيام في اللغة العربية.

وحسبي هنا أن أذكر ترجمتين لرباعية من رباعيات عمر الخيام التي يشير فيها إلى الكوز من الخزق أو الصلصال أو الطين الذي يجوز – قبل ان يتحول إلى تراب - أنه كان إنسانا عاشقا، ويجوز أن عروته كانت ذراعا تطوق جيد حبيب [13].

وهنا أعرض هاتين الترجمتين المقارنتين لأبين الاختلاف بينهما فسأعرض النص الأصلي الفارسي للرباعية أولاً حتى تتضح المقارنة.

اين كوزه جو من عاشق بوده است

در بند زلف نكارى جوده است

اين دسته له بر كردن أو محابيني

دسيست كه در كردن يارى بودة است [14]

في بعض الأحيان يفقد النص الآخر ملكيته وهويته عندما يترجم ويتم التفاعل به، أي ينقل من سلطة الى سلطة، ومن معطى إلى معطى آخر، ومن جغرافية إلى جغرافية، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن أفراد إلى أفرادً ومن أنساق إلى أنساق. وهذا هو المهم، وعندها لا يعود المختلف مختلفاً يتحول فعلا ذاتياً بامتياز تزول غربته، وعزلته، ليكتسب أُلفه وحميمه هما أُلفة الإبداع وإعادة الصوغ، وإعادة التكوين؛ وهذا يحدث على أيدي المترجمين من الأدباء الموهوبين من أصحاب الأساليب كابن المقفع من القدماء ومصطفى لطفي المنفلوطي من المحدثين وغيرهم.

بيد أن درجة الإبداع في الترجمة تختلف بالطبع من ترجمة لأخرى حسب موهبة المترجم ومقدرته وبراعته وطريقته وأسلوبه.

ترجمات لقصائد الشعرية:

1- ترجمة الشاعر الإنجليزي رينولد نيكلسون، لابيات الشاعر العربي جميل بن معمر:

---

[12] - فاطمة ناعوت، مختارات من الشعر الإنكليزي والأمريكي، شعراء معاصرون،ط1، الهيئة العامة لقصواء الثقافة آفاق عالمية، مصر، 2004م، ص698.

[13] - محمد عبد الغني حسن، فن الترجمة، ص261.

[14] - عمر الخيام، رباعيات عمر الخيام، ترجمة: مصطفى وهبي، تحقيق: يوسف بكار، دار الجيل، بيروت، 1990م، ص198.

فحين نطالع على سبيل المثال الأبيات البديعة للشاعر الأموي جميل بن معمر في صاحبته والتي يقول فيها:

ألا ليت ريعـان الشبـاب جـــديد ودهراً تولى يابثيـن يــعود

فنبقـى كما كنا نـــكـون وأنتـــم قريب وإذ مـا تبذليـن زهيـد

وهل ألقين فرداً بثينـــــة مـــرةً تجود لنا من ودّها ونجـــود

منها علقت الهوى فيها وليدا لم يزل الى اليوم ينمي حبها ويزيــد

وأفنيـت عمري بانتـظاري وعدهـا وأبليت فيها الدهر وهـو جديـد

فلا أنا مردود بما جئت طـــالبـــاً ولاحبّها فيما يبيـــــــد يبيدُ (15)

ثم نطالع ترجمة الشاعر الإنجليزي رينولد نيكلسون التالية لها:

[15] - جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ط دار صادر بيروت – لبنان، 2009م، ص15-18.

Oh, that youth's flower anew might lift its head

And return to us, Buthaina, the time that fled!

And oh, might we bide again as we used to be

When thy folk dwelt nigh grudged what thou gavest me!

Shall I ever meet Buthaina alone again,

Each of us full of love as a cloud of rain?

Fast in her net was I when a lad, and till

This day my love is growing and waxing still.

I have spent my lifetime waiting for her to speak,

And the bloom of youth is faded from off my cheek;

But I will not suffer that she my suit deny,

My love remains undying, tho' all things die [16].

ثم نقارن بين الترجمة وبين القصيدة العربية الأصلية، نلمس في الترجمة قدرا من الإبداع يظهر في إعادة ترتيب المترجم الشاعر للأبيات، وفي تنويعه لقوافيها، كما يتبدى في مطلع ترجمته وفي البيت التالي له وفي السطر السادس والعاشر والحادي عشر والثاني عشر على وجه التحديد.

وقد يصل عمل المترجم أحياناً إلى درجة أبعد في التفنن والإبداع كما نرى ذلك في بعض ترجمات شارل لايل للمعلقات، وترجمات رينولد نيكلسون للشعر الأموي، وترجمات جون آربري للشعر المعاصر [17].

وكنت أود أن أعرض هذه النماذج وغيرها، لكن رغبتاً في الإيجاز سأكتفي بذكر مثالين فحسب.

2- ترجمة عبد التواب يوسف لقصيدة (Boats Paper):

16 - Reynold Nicholson, A Literary History of the Arab, P. 24.

17 - صفاء خاوصي، فن الترجمة ص22.

فترجمة عبد التواب يوسف لقصيدة (Boats Paper) قوارب ورقية للشاعر رابيند رانت طاغور والتي يقول فيها:

Day by day I float my paper boats one by one down the running stream. In big black letters I write my name on them and the name of the village where I live.

I hope that someone in some strange land will find them and know who I am.

I load my little boats with shiuli flowers from our garden, and hope that these blooms of the dawn will be carried safely to land in the night.

I launch my paper boats and look up into the sky and see the little clouds setting their white bulging sails.

I know not what playmate of mine in the sky sends them down the air to race with my boats!

When night comes, I bury my face in my arms and dream that my paper boats float on and on under the midnight stars.

The fairies of sleep are sailing in them, and the lading is their baskets full of dreams.

(18)

فقد برع عبد التواب يوسف في نقل هذه القصيدة حتى جاءت قصيدة طاغور في اللغة العربية في شكل فني جديد فقال:

كان الطفل الصغير يحب الحكايات..

وهو لا يكتفي بسماعها، ولكنه يرويها أيضا، ذات يوم قال:

- إنني من شروق الشمس كل صباح أصنع القوارب، والمراكب، من الورق..

- وماذا تفعل هبا؟

- أدفعها لكي تعوم على سطح الماء..

- جميل

[18] - Rabindrananth Tagore, The Greecent Moon, P 31.

- ولا أنسى أبدا أن أكتب عليها اسمي! أكتبه بخط واضح، وحروف بارزة!

- من حقك هذا..

- وأكتب أيضا اسم بلدي، في اشمئزاز!

- لم هذا؟

- ربما يجد أحدهم هذه القوارب، وتلك المراكب الورقية، فيتعرف علي، وقد نصبح أصدقاء حتى لو لم نلتق..

- وهل تضع في قواربك ومراكبك شيئا؟

- بالطبع، أملأها بالورود والزهور من حديقة بيتنا، وهي معطرة....

ويسكت الطفل الصغير، قليلا، ثم يرفع صوته...

- ولست أدري إذا ما كان الليل سوف يحملها إلى الفجر، أم لا.

ويرفع الصغير رأسه إلى السماء، ويتطلع إلى سحبها البيضاء، ويتساءل:

- ترى، من بعث إلينا بهذه الغمامات الرقيقة؟

إنها أشبه ما تكون بشراع سفني الورقية..

هل هما في سباق؟! .... من يفوز فيه؟

صنع الطفل الصغير من يديه وسادة وثيرة، ناعمة وأسند رأسه إليها، وأغمض عينيه، وراح في نعاس طويل.....، ويحلم الصغير أثناء نومه بقواربه ومراكبه، وهي تُبحر، وسط الأمواج، وتحرسها النجوم التي تلمع في السماء ....ويتطلع إلى القوارب والمراكب ويسأل: ما الذي تحمله؟ يبدو أنها تحمل حقائب سفر كبيرة، تمتلئ بأحلام وردية جميلة، وساحرة[19].

فالمترجم هنا لم يلتزم بنص قصيدة طاغور، وإنما تصرف في ترجمته ضروبا من التصرف باعدت بين الترجمة والأصل لا في الألفاظ والمعاني فحسب، بل في الشكل والصياغة والأسلوب أيضا، ولم يقتصر تصرف المترجم على صياغة القصيدة في أسلوب حواري بارع، بل امتد إلى تغيير جنس أدبي معين إلى جنس أدبي آخر؛ فحوّل القصيدة النثرية الأصلية برمتها إلى قصة نثرية شيّقة، وتحول بعمله من دائرة النقل الحرفي الصرف إلى دائرة الإبداع الأدبي الطريف.

---

[19] - طاغور، رابيندراناث، عودة الطفل وقصص وقصائد أخرى، جمع: عبد التواب يوسف، سلسلة روائع الأدب العالمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م، ص19-21.

المترجم الأدبي أو الأديب المترجم: Literary translator or Translator literary

ومن ذلك نرى أن عمل (المترجم الأدبي أو الأديب المترجم) لا يقل عن عمل المؤلف، ومن ثم فلا يصح الحط من قدر الترجمة والتهوين من مكانة المترجم، فيقال كما كان يردد الجاحظ وأضرابه أين ابن المقفع من بيدبا الفيلسوف؟ أو بودلير من إدجار ألن بو؟ أو فيتزجرالد من عمر الخيام؟ أو المنفلوطي من الفونس كار أو برنار دي سان بيير؟

فهؤلاء المترجمون في الحقيقة لا يقلون في مكانتهم الأدبية أو أعمالهم الإبداعية عن أولئك الأدباء الذين نقل المترجمون أعمالهم إلى لغاهتم واحتفوا بها وحققوا لها في أوطانهم كل هذه الشهرة والذيوع والانتشار.

لا ينبغي أن تنحصر العلاقة بين الترجمة والأدب في مجرد مقارنة النص المترجَم بالأصل بهدف تقييم مدى قربه أو ابتعاده عنه؛ إذ إن هذا المنظور وحده غير كافٍ للحكم على جودة الترجمة. فعملية الاتصال لا يمكن تقويمها بشكل سليم إذا تم تجاهل رد فعل المتلقي وكيفية استقباله للنص وفهمه له. ومن هنا يبرز مفهوم التكافؤ الديناميكي الذي يقوم على مراعاة أثر النص في المتلقي أكثر من الاقتصار على مطابقته الحرفية للأصل.

وعليه، فإن قيمة الترجمة لا تتحدد برأي الناقد الملمّ باللغتين، القادر على مقارنة النصين واستخراج أوجه التشابه والاختلاف بينهما، بل ترتبط أساساً بطريقة فهم القارئ أحادي اللغة للرسالة المنقولة إليه، ومدى تطابق استجابته مع استجابة متلقي النص الأصلي. فمعيار النجاح الحقيقي للترجمة يكمن في قدرتها على إحداث الأثر ذاته لدى القارئ في اللغة الهدف كما أحدثه النص الأصلي لدى قرّاء لغته[20].

[20] - علي مواخي، المترجم كوسيط ثقافي، في الترجمة وتفاعل الثقافات، ورقة بحثية منشورة في أكاديميا العربية، ص659-660.

كما يجدر أيضا أن تقارن ترجمات العمل الأدبي الواحد في اللغة الواحدة، ثم تقارن ترجماته في اللغات المختلفة، وتبرز مميزات كل ترجمة منها، كأن تقارن مثلا ترجمات "روميو وجولييت" في اللغة العربية، ثم تقارن ترجمات هذه المسرحية ذاتها في اللغات العالمية الأخرى التي نقلت إليها؛ ولعل هذه الدراسات تؤدي إلى نشوء علم جديد نراه جديرا بالعناية والدرس وهو "علم الترجمة المقارن."

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن للترجمات الأدبية آثاراً ضخمة على الآداب العالمية، فقد كانت "كليلة و دمنة" التي ترجمها عبد الله بن المقفع من الفارسية إلى العربية المصدر الذي نقلت عنه هذه الحكايات الهندية القديمة إلى لغات عالمية مختلفة، وتعد من عيون الآثار الأدبية العربية الكلاسيكية، كما أدت إلى ادخال فن الخرافة الشعرية في الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر على يد لافونتين، وصارت "دون كيخوته" أساس الرواية الأوربية الحديثة ، وقمة شامخة من قممها، على الرغم من أن كاتبها سير فانتيس أقر بأنه ترجمها إلى لغته الإسبانية من مذكرات لكاتب عربي وقعت تحت يده، وعدت "رباعيات عمر الخيام" – التي ترجمها فيتز جرالد من الفارسية جزءاً من الأدب الإنجليزي ، وأدخلت فيه هذا الجنس الشعري، كما أثرت تأثيراً بالغاً في مسيرة الشعر الإنجليزي، ووضعت "جتنجالي" في مصاف الأعمال الشعرية العظيمة في هذا العصر، وهي ترجمة نقلها صاحبها الشاعر الهندي طاغور من البنجالي "لغته الأم" إلى اللغة الإنجليزية، ومنح لأجلها جائزة نوبل للآداب في عام 1913م.

بعض الآداب ترجمات في الأصل:

وتختل هذه الترجمات الرائعة وامثالها مكانة مرموقة في الآداب التي دخلت فيها، فأصبحت جزءا مهماً منها، مما يؤكد ما ذهب إليه كومزاد الكاتب الروسي المعروف من القول: بحق_ بأن "آداب الدول المعاصرة تتكون من عنصرين: من مؤلفات ظهرت في الدول نفسها، ومؤلفات انتقلت إليها من آداب الشعوب الأخرى [21].

ويذهب أكتافيو باث إلى أبعد من هذا فيرى أن كل نص ترجمة لنص آخر قبله؛ يقول باث:

"نص هو نص فريد، وفي الوقت نفسه هو ترجمة لنص آخر "وربما هذا ما ذهب عليه الجاحظ بقوله إن الأفكار ملقاة على قارعة الطريق، فالعقل البشري متشابه إلى حد بعيد في آلياته ومنتجه الذهني، ومن هذا يصبح الأدب كله ترجمة للفكر الإنسانين وبالتالي تعدو كل ترجمة نصا فريد الصوغ وبالتالي يحمل أصالته" [22]

دور الترجمة في ذيوع الأعمال الأدبية: The role of translation in the publication of literary works

تستلزم سيرورة العمل الأدبي وجود عناصر أساسية في العمل الأدبي نفسه، كأن يدور حول موضوع أو قيمة عالمية إنسانية تتخطى الحدود المحلية واللغة القومية.

كما لابد ان يؤدي هذا المضمون في أسلوب فني ساحر أخّاذ وبسيط لا يستعصي على الترجمة، وهناك وسائل أخرى خارج العمل الأدبي تعين على سيرورته وشهرته ورواجه، كالكتابة عنه في الصحافة، والحديث عنه في الإذاعة والندوات التلفزيونية، وكتابة المراجعات عنه في الكتب والمقالات في الصحف والمجلات، وهناك وسيلة أخرى هامة وهي السينما كأن يتحول العمل الأدبي إلى فيلم يذيعه في القراء وفي غير القراء من الجماهير العريضة، وهناك عامل آخر لا يستهان به وهو طبع العمل الأدبي وتسويقه.

وغالباً ما تُعتمد معظم هذه الوسائل بعد ترجمة الأعمال الأدبية لا قبلها. وهناك عامل آخر يسهم في انتشار العمل الأدبي وهو اللغة التي يُكتب بها. فقد استخدم بعض الكتّاب ما يُعرف بـ "اللغة الثالثة"، وهو مصطلح أطلقه *توفيق الحكيم* على أسلوبه الكتابي، وهي لغة تقع في منزلة وسطى بين الفصحى والعامية. وقد أسهم

[21] - لمعي المطيعي، ندوة الترجمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص44.

[22] - الأدب والترجمة، ورقة بحثية لعارف كرخي، منشور في كاديميا العربية، 2020م، (فاطمة ناعوت، ترجمة الشعر، في الترجمة تفاعل الثقافات، ص704-705).

هذا الأسلوب الوسيط في أن تُترجم مسرحيات الحكيم إلى عدد كبير من اللغات الأجنبية، لسهولة تلقيها ووضوحها.

والأمر ذاته ساعد على انتشار أعمال محمد *شكري*، الذي أشار إلى أنه باع خلال نحو عام ونصف ما يقارب عشرين ألف نسخة؛ وهو رقم نادر في السياق المغربي. ويُعزى هذا النجاح إلى اللغة التي كتب بها، فهي لغة يفهمها الجميع: يقرؤها من يمتلك تعليماً بسيطاً، كما يقرؤها المثقف ذو المستوى العالي، مما جعل أعماله قابلة للوصول إلى شرائح واسعة ومتنوعة من القرّاء. [23]

ويُعد الموضوع عاملاً آخر يسهم في انتشار العمل الأدبي وذيوعه. ويتجلى هذا بوضوح في أعمال محمد *شكري*، إذ تدور قصصه بحسب قوله حول تجارب إنسانية ذات أهمية، خاصة تلك المرتبطة بالحياة المهمَّشة. فالواقع الذي كتب عنه كان واقعاً مشتركاً بين فئات واسعة من المجتمع؛ فجميعنا أبناء أحياء صغيرة وضيقة، بينما كان أصحاب الفيلات، وأبناء الباشوات، والمقرَّبون من السلطة أو الاستعمار هم من يتنعمون بالامتيازات. ومع ذلك، فإن أبناء تلك الحارات الفقيرة والدور المتواضعة هم الذين صاروا لاحقاً مهندسين وأساتذة وأطباء ومحامين وغيرهم. ولذلك وجد القرّاء أنفسهم في قصصه، لأن موضوعاتها نابعة من تجارب حيّة وملامسة لواقع الكثيرين. [24]

والذيوع غير الانتشار؛ فقد يصبح العمل شهيراً معروفاً في الأوساط الأدبية ولكنه لا يلقى الشيوع

والإقبال من القراء كما هو الحال مع مترجمة سليمان البستاني لإلياذة هومريوس، فهي مشهورة لدى الدارسين والأكاديميين بيد انها لا تلقى إقبال من القراء لجفافها ولأسلوبها التقليدي العتيق الذي ينفر القراء من مطالعتها.

وقد يصبح العمل الأدبي شهيراً وذائعاً في آن، ويلقى الإقبال والقبول من القراء والأدباء والنقاد كما هو الحال مع كتاب كليلة ودمنة مثلاً. وربما كانت لغة ابن المقفع الواضحة وجمله القصيرة وسلاسة أسلوبه وجمال عباراته من اسباب هذا الإقبال والذيوع.

وأثر آخر للترجمة في أدبنا العربي تظهر في النقد الأدبي الحديث؛ فقد نحا نقدنا بجمالياته ومدارس المناحي التي اتبعها الغرب من الانطباعية إلى الطبيعية والواقعية والديكارتية والماركسية والطاحرتية والبنيوية والانتربولوجية والسيمائية وصولا إلى التفكيك.

---

[23] - وجها لوجه، محمد شكري، وجهاد فاضل، مجلة العربي، العدد429، أغسطس1994، ص79.

[24] - المرجع السابق نفسه.

المصادر والمراجع:

1- "إشكالية ترجمة الشعريين اللغتين العربية والألمانية" رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، 2018م.
2- أحمد عصام الدين، حركة الترجمة في مصر في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.
3- الأدب والترجمة، ورقة بحثية لعارف كرخي، منشور في كاديميا العربية، 2020م.
4- جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ط دار صادر بيروت – لبنان، 2009م.
5- سامح فكري، "ترجمة مآسي شكسبير الكبار في مصر: مقال في المنهج".
6- صفاء خلوصي، دراسات في الأدب المقارن والمدارس الأدبية، مطبعة الرابطة، بغداد - العراق، 1957م.
7- طاغور، رابيندراناث، عودة الطفل وقصص وقصائد أخرى، جمع: عبد التواب يوسف، سلسلة روائع الأدب العالمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001م.
8- عارف كرخي أبو خضيري، أسلوب ترجمة النصوص الأدبية إلى اللغة العربية، أكاديميا العربية.
9- علي، مواخي، المترجم كوسيط ثقافي، في الترجمة وتفاعل الثقافات، ورقة بحثية منشورة في أكاديميا العربية.
10- عمر الخيام، رباعيات عمر الخيام، ترجمة: مصطفى وهبي، تحقيق: يوسف بكار، دار الجيل، بيروت، 1990م.
11- فاطمة ناعوت، ترجمة الشعر، في الترجمة تفاعل الثقافات، مجلة اكاديمي، 20014م.
12- فاطمة ناعوت، مختارات من الشعر الإنكليزي والأمريكي، شعراء معاصرون،ط1، الهيئة العامة لقصواء الثقافة آفاق عالمية، مصر، 2004م.
13- لمعي المطيعي، ندوة الترجمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م.
14- محمد ديداوي، علم الترجمة - بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992م.
15- محمد عبد الغني حسن، فن الترجمة، ص101 ومابعدها.
16- محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1979م.
17- وجها لوجه، محمد شكري، وجهاد فاضل، مجلة العربي، العدد429، أغسطس1994م.

المصادر الأجنبية:

1- Albir, Amparo Hurtado, La notion de fidélité en traduction, pp124 .
2- Rabindrananth Tagore, The Greecent Moon, P 31.
3- Reynold Nicholson, A Literary History of the Arab, P. 24.